

السابقة كانت خاطئة . نحن الآن بدأنا الشك في قدرة العسكر على تحقيق منجزات اجتماعية . ان بعض الدول العربية تحكمها احذية عسكرية تحت ستار التقدم والاشتراكية والتحرر . وعندما تعيش في العالم العربي تدخل في تفاصيل الصورة . هذا هو الفارق بين النظرة من بعيد والنظرة من قريب . باسم التقدم تحارب محاولات خلق صيغة ثورية للتقدم ، ونضرب على سبيل المثال المقاومة الفلسطينية . ان اعداء المقاومة ليست الرجعية فقط . كنت اعرف العالم العربي في السابق عن طريق الاذاعة . وليست هناك في العالم اذاعة تقول الحقيقة . ان الاذاعة هي تعبير مهذب عن كذبة شرعية او مشروعة . انا الآن لا اسمع الاذاعة . ولكنني ارى . ارى ان المعركة هي آخر ما يشغل اغلبية الحكام العرب . انهم يخوضون فعلا معركة ويخوضون فعلا حربا ، ليس ضد الغزاة ، ولكن ضد المواطنين . وباسم المعركة مع العدو يقمع كل صوت داخلي « (٤٣) » .

من هنا اكتسبت تجربة محمود درويش النضالية بخروجه من الارض المحتلة بعدا جديدا ، اذ أصبحت علاقته بالعالم العربي علاقة معايشة يومية ، كشفت له اسرار الهزائم العربية المتواصلة . فاذا الهزيمة أكثر من ضعف في التخطيط العسكري ، او مفاجأة عسكرية غير متوقعة . فهي في أساسها ، نتيجة للتخلف الحضاري الذي تعاني الامة العربية منه ، والتمثيل في غياب الفكر الاصيل الموجه ، والانسحاق الجاهيري المتهور وراء قيادات تقليدية اثبتت انهيارها عبر الهزائم المتلاحقة ، وظلت مومياء محتلة جالسة حيث كانت قبل أن تموت . ولعل هذا التخلف الحضاري يتمثل في انتصار صور الجمود والتحجر على كل صوت او فعل يسعى الى تغيير الواقع والمطالبه بتخطي الهزيمة بفعل يتعدى الخطب الحماسية . ( ولعل ضرب الحركة الطلابية التي شهدتها شوارع القاهرة في الستين الماضيتين ، والتي طالبت برفض المساومات والتنازلات والاتجاه الى الفعل لا الكلام ، واتهام الطلبة الذين فجروا هذا التحرك بالخيانة ، دليل على صحة ما نذهب اليه ) . من هنا تقع على كاهل المناضل خارج الارض المحتلة ، مسؤوليات قد تكون أكبر من مسؤوليات المناضل في ظل الاحتلال . فعلى المناضل في الخارج تقع مسؤولية حضارية تتمثل في النهوض بالحضارة العربية ، والانتصار على أسباب التخلف والانهيار ، وبناء المجتمع العربي الجديد القادر على مجابهة العدو ، فضلا عن مسؤولية التحرير .

من هذه التجربة الجديدة ، مضافا اليها ، تجربة الشاعر في المعاناة والنضال في ظل الاحتلال الصهيوني ، وآلام الغربة والحنين الى الوطن ، انطلقت قصائد مجموعته الاخيرة « أحبك أو لا أحبك » ، التي صدرت عن دار الآداب في بيروت في شباط عام ١٩٧٢ ، وكتبت قصائدها بين عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ في موسكو والقاهرة . وقد عمقت الغربة والحنين الى الوطن مأساة الشاعر ، فاستطاع — على اغترابه عن وطنه — ان يتحد بهذا الوطن ، بينما لم يستطع الوصول الى هذه المرحلة في أي من قصائده التي كتبها في فلسطين المحتلة . ويعتبر اتحاد الشاعر بالوطن سمة من أبرز السمات التي يتميز بها ديوانه الاخير « أحبك أو لا أحبك » .

يتألف هذا الديوان من قصيدة طويلة في سبعة عشر نشيدا بعنوان « مزامر » واحدى عشرة قصيدة اخرى . ونلاحظ ان محمود درويش اختار « مزامر » عنوانا لقصيدته الطويلة ، وكأنه يصلي لوطنه كما صلى داود لربه . وقد قرأ محمود درويش النوراة باللغة العبرية وتأثر بها ؛ قال : « وأنا شخصا أشعر بأن تأثير اللغة العبرية عليّ قادم من منطقة بعيدة في التاريخ هي منطقة النوراة . . . ولهذا فأنا لا أخشى النوراة كأثر أدبي وان كنت أرغضا كنعاليم لان فيها فصولا مغرقة في العنصرية . اما من الناحية الأخرى ، فتحتوي النوراة على صفحات مشرقة ومغرقة في الشاعرية والبناء